من كتاب الحياة

شريـــد . . .

للدكتور عزيز فهمي

مرَّ بى كالخيالِ فى أسمالِه   واهياً كالخيالِ عندَ زوالِه
حائرَ الطَّرْفِ والُخطى كطريدٍ   ذاهلاً عن يمينه وشمالِه
راعشاً والسماء تُمطِرُ سَيْلاً   يُنذِرُ الرَّعْدُ صاخباً بانهيالِه
يَهرَأُ البَرْدُ ما يُواريه بُرْدٌ   وصريرُ الرِّياحِ دونَ شُعالِه
أيها العابرُ المُجِدُّ تَمَهَّلْ   أنتَ أحْرَى بأنْ ترِقَّ لحالِه!
صِحْتُ: ياطِفْلُ! لم يكَدْ يَنْتَبِه لى
فتبِعْتُ الشَّريدَ والقلبُ وَالِه
حيثُ أَثْوَى بمسْجِدٍ غيرِ ناءٍ   مُطرِقاً من حَيائه وسُؤالِه
والمُصلُّونَ مَنْ يُسَبِّحُ منهم   عازفٌ عن فضوله وابتذالِه
حرَماً ياأخي ويا صاحِ جَمْعاً...   أينَ مِنْ وقْعِها ذليل مَقالِه؟
لم يجدْ راحماً ولا مُستجيباً   بعْدَ ما بُحَّ صوتُه من كلالِه
فانثنى عائداً بخُفَّى حُنَيْنٍ   كاسفَ البالِ مُشفقاً من مآلِه
ثمَّ ولَّى إلى الكنيسةِ وجهاً   واستجارَ الفتى بعيسى وآلِه
رَدَّهُ سادِنُ الكنيسةِ رَكْلاً
لَيْتَ من رَدَّهُ استحى من جلالِه!
ما على الدَّيْرِ لو أقامَ نهـاراً
أو أطالَ الوقوفَ فوقَ احتمالِه؟
فمضى هائماً على غـيرِ وجْهٍ
ليسَ يَلْوِى على هُدًى فى ضلالِه
وإذا بى أرى فتًى أرْيحيّاً   هَزَّهُ النُّبْلُ لا يَضِنُّ بمالِه
يتْرُكُ الحانَ والنَّدامى ويعدو   كالذى فرَّ ناشطاً من عِقالِه
صاحَ بالطِّفلِ يا بُنَىَّ انتظرنى   لحظة: فالطريق فى أوحالِه
وانْتَضَى ثوْبه وقالَ تدَثَّرْ...   وأضافَ الجوادُ بعضَ نوالِه
فتأمَّلتُ ما رأيتُ مَلِيّا   ذلكَ الدرسُ فاعتبِرْ بمثالِه
أيهم عنـدَ ربِّه مُتَّقيه   ليتَ شعرى وأيهم غيرُ آلِه[1]؟
ليتهم إذْ صَغَوْا بِخَدٍّ ومالوا   عَنْهُ أصْغَوا إليه عندَ ابتهالِه
مَنْ لهذا الشَّريدِ إنْ جَنَّهُ اللَّيْـ   ـلُ وأرْخى عليهِ من أسْدالِه؟
قابعٌ عندَ دِمْنَةٍ تحتَ جُبٍّ   يحْسَبُ الغولَ زاحفاً لاغتيالِه
قد تعَرَّى إلى الثرى غيرَ فَضْلٍ   منْ قميصٍ مُهَلْهَلٍ كرِمالِه
مَنْ لهـذا اليتيمِ أمسى وحيداً
مُشفِقاً من غولِ الدُّجى وخيالِه
بَيْنَ فكَّيْنِ مِنْ طَوًى وعَراءٍ   يَدْفَعُ الموتَ وهْوَ بينَ نِصالِه
عالِقٌ بالحياةِ يبغى خَلاصاً   ويَدُبُّ الفَناءُ فى أوصالِه
يتلوَّى كما تلوَّتْ قطاةٌ   عَزَّها الفخُّ وهْىَ بينَ حِبالِه
أيُّها اللاهونَ عنه زكاةً   فرَضَ اللهُ بَذْلَها لِعيالِه
لا تصوموا ولا تقيموا صلاةً   إنْ ضَنَنْتُمْ بها على أمثالِه
يعلمُ اللهُ ما غَنِمْتُمْ جزاءً   أيها المُمعِنونَ فى إذلالِه
أحسنوا البِرَّ إن أردتم ثواباً   وتواصَوا بِعِتْقِه وانتشالِه

عزيز فهمي

(١) الآله: العابد.

ديوان
أغاريد
الطبعة الثانية
للشاعر محمد فهمي
طابع جديد فى الشعر العربي
موكب نغم من الشعر الرفيع
يطلب من مكتبة النهضة والمكتبة التجارية الكبرى
الثمن ٢٠ قرشا